من سير علماء الصحابة عند الفتن

عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنموذجا

تأليف
أبي إسحاق محمود بن أحمد الزويد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من سير علماء الصحابة

عند الفتن

عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنموذجا

بقلم

أبي إسحاق محمود بن أحمد الزويد

عفا الله عنه

شبكة الألوكة - قسم الكتب

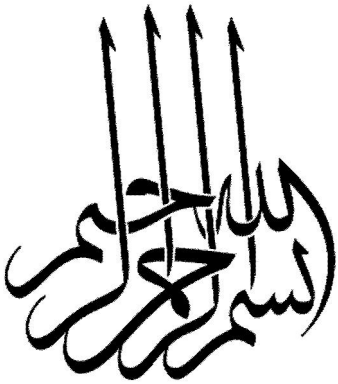
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ونستعينُ بهِ ونستغفرهُ ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهديه الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء : ١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٦ ـ ٧] .

أمّا بعد : فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثةٍ بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

وبعد فإنني وقفت على كتاب لطيف ألفه الشيخ المحدث علي ابن عبد الله الصياح حفظه الله ، وسماه : من سير علماء السلف عند الفتن (مطرف بن عبد الله الشخير) .

وهو أراد أن يضرب نموذجًا لحال علماء السلف في وقت الفتن ، وقد رأيت من خلال نظري وتقييدي لبعض الفوائد أن من أعلام الصحابة في زمان الفتن هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فرأيت جمع تلك الفوائد ووضع مقدمة لها ، ونشرها رجاء أن ينفع الله بها ،

والحمد لله رب العالمين .

أقول ناقلًا هو الصحابي الجليل العالم العابد الزاهد عبد الله بن عمر بن نفيل العدوي رضي الله عنه ، أسلم وهو صغير ، ثمَّ هاجر مع أبيه لم يحتلم ، واستصغر يوم أحد ، فأول غزواته الخندق ، وهو ممن بايع تحت الشجرة . وشهد الفتح ، وله عشرون سنة .

إنَّ من تأمل في سيرة ابن عمر رضي الله عنهما ، وأقواله وأفعاله وجده من أعلام الصحابة ، وأنَّه من رجال الأمة العارفين بحقائق الفتن ، ففي « الأمالي الشارحة لمفردات الفاتحة » لأبي القاسم الرافعي (ص١٧٢) عن الإمام أمير المؤمنين في الحديث سفيان الثوري أنَّهُ كان يقول : « اقتدوا بعمر في الجماعة ، وابن عمر في الفتنة » .

وفي « الفتن » لنعيم بن حماد (٤١٧) ، و « حلية الأولياء » لأبي نعيم (٢/ ٢٧٦) ، عن مرحوم العطار ، عن أبيه ،

قال : لما كانت فتنة يزيد بن المهلب اختلف الناس فيه ، قال : فانطلقنا إلى محمد بن سفيان فقلنا له : ما ترى في أمر هذا الرجل ، وقلنا له : كيف تريد أن تصنع أنت ؟

فقال : « انظروا أسعد الناس حين قتل عثمان رضي الله عنه فاقتدوا به » ، قال : فقلنا : « هذا ابن عمر ، كف يده » .

وفي « النهاية في غريب الحديث » (٢/ ٢١٣) ، أنَّه قال ـ يعني ابن عمر ـ عن الفتن : « لأكونَنَّ فيها مثل الجمل الرداح » أي : الثقيل الذي لا انبعاث له .

وفي « السير » للذهبي (٣/ ٢١١) ، عن عائشة : « ما رأيت أحدا ألزم للأمر الأول من ابن عمر » .

وقال أبو سفيان بن العلاء المازني ، عن ابن أبي عتيق ، قال : قالت عائشة لابن عمر : ما منعك أن تنهاني عن مسيري ـ لعله يوم الجمل ـ ؟

قال : « رأيت رجلًا قد استولى عليك ، وظننت أنَّك لن

تخالفيه ـ يعني : ابن الزبير ـ » .

منهجية ابن عمر رضي الله عنه :

روى عبد الجبار الخولاني في « تاريخ داريا » (ص٤٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣١/ ١٧٠) ، عن محمد بن أبي قيلة ، أنَّ رجلًا كتب إلى عبد الله بن عمر يسأله عن العلم ، فكتب إليه ابن عمر : « إنَّك كتبت إلي تسألني عن العلم ، والعلم أكثر من أن أكتب به إليك ، ولكن إن استطعت أن تلقى الله عز وجل وأنت خفيف الظهر من دماء المسلمين ، خفيف البطن من أموالهم ، كاف اللسان عن أعراضهم ، لازمًا لجماعتهم فافعل » .

خوفه من الفتن :

في « المصنف » لابن أبي شيبة (٣٢٦٧٦) ، و « الفتن » لنعيم بن حماد (٤٧٠) ، واللفظ له ، عن أبي الحصين ، قال : رأيت ابن عمر ساجدا عند الكعبة بحيال الحجر وهو

يقول : « اللهم إني أعوذ بك من شر ما تسوط به قريش » .

وروى قوام السنة في « سير السلف الصالحين » (ص٤٩٧) ، قال نافع : دخل ابن عمر رضي الله عنه الكعبة ، فسمعته وهو ساجد يقول : « قد تعلم يا رب ما يمنعني من مزاحمة قريش إلا خوفك » .

بصيرته بالفتنة :

روى أحمد في « المسند » (٥٩٨٥) ، عن يوسف بن مهران ، عن عبد الله بن عمر ، أنَّه كان عنده رجل من أهل الكوفة ، فجعل يحدثه عن المختار ، فقال ابن عمر : إنَّ كان كما تقول ، فإنَّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ بين يدي الساعة ثلاثين دجالًا كذابًا » .

والمختار : هو ابن أبي عبيد الثقفي ، كان مع علي بالعراق ، وسكن البصرة بعد مقتله ، ثم بايع عبد الله بن الزبير ، فولاه الكوفة ، فخلعه ، ودعا إلى إمامة ابن الحنفية ،

وراح يتتبع قتلة الحسين بن علي رضي الله عنه ، ثمَّ ادعى النبوة ونزول الوحي عليه ، فتوجه إليه مصعب بن الزبير ، وقتله سنة (٦٧ هـ) ، وأخباره مستفيضة في كتب تاريخ تلك الفترة .

وروى أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/ ٢٩٣) ، كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الله بن عمر : بلغني أنك طلبت الخلافة ، وإن الخلافة لا تصلح لعيي ولا بخيل ولا غيور .

فكتب إليه ابن عمر ، أما ما ذكرت من الخلافة أني طلبتها فما طلبتها وما هي من بالي ، وأما ما ذكرت من العي والبخل والغيرة ؛ « فإن من جمع كتاب الله فليس بعيي ، ومن أدى زكاة ماله فليس ببخيل ، وأما ما ذكرت من الغيرة فإن أحق ما غرت فيه ولدي أن يشركني فيه غيري » .

اعتزاله الفتنة :

روى الحاكم في « المستدرك » (٨٦٥٩) ، عن ابن عمر

رضي الله عنهما ، أنَّه قال لرجل يسأله عن القتال مع الحجاج ، أو مع ابن الزبير ، فقال ابن عمر : « مع أي الفريقين قاتلت فقُتلت ففي لظى » .

وروى البيهقي في « السنن الكبير » (٥٣٠٥) ، كَانَ ابن عُمَر يسلم عَلَى الخشبية والخوارج وهم يقتتلون . فَقَالَ : من قَالَ : « حي عَلَى الصلاة » أجبته ، من قَالَ : «حي عَلَى الفلاح » أجبته ، ومن قَالَ : « حي عَلَى قتل أخيك الْمُسْلِم وأخذ ماله » ، قُلتُ : لا .

وفي الفتن لنعيم بن حماد (٤٠٤) ، عن عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، رضي الله عنهما قال : لما قتل عثمان لقيه علي رضي الله عنهما فقال : « يا أبا عبد الرحمن ، إنَّك رجل مطاع في أهل الشام ، وإني أرى فتنة تغلي مراجلها ، فاذهب فقد أمرتك عليهم » ، فقال : أذكرك الله ، وقرابتك من رسول الله ﷺ ، وصحبتي إياه ، لما أعفيتني ، فأبى ،

فاستشفع عليه بحفصة رضي الله عنها فأبى ، فخرج إلى مكة فبعث في طلبه حتى إنهم ليأتون البعير فيعجلون أن يخطموه ، وظنَّ أنَّه يريد الشام ، فأخبر أنَّه خرج إلى مكة فسكن .

عدم الخروج في الفتنة :

وفي « مجموع الفتاوى » (٤/ ٤٤٠) ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « لله در مقام قامه سعد بن مالك وعبد الله بن عمر : إن كان برًا إن أجره لعظيم ، وإن كان إثمًا إن خطأه ليسير » .

وفي « صحيح مسلم» (١٣٧٧) ، عن يحنس مولى الزبير ، أخبره ؛ أنَّه كان جالسًا عند عبد الله بن عمر في الفتنة . فأتته مولاة له تسلم عليه . فقالت : إني أردت الخروج ، يا أبا عبد الرحمن ! اشتد علينا الزمان . فقال لها عبد الله : اقعدي لكاع! فإنَّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد ، إلا كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة » .

قوله : (في الفتنة) وهي وقعة الحرة التي وقعت زمن يزيد . وقوله : (اقعدي لكاع) قال أهل اللغة : يقال امرأة لكاع ورجل لكع ، ويطلق ذلك على اللئيم وعلى العبد وعلى الغبي الذي لا يهتدي لكلام غيره وعلى الصغير .

وفي « صحيح البخاري » (٤٥١٤) ، عن نافع : أنَّ رجلًا أتى ابن عمر ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، ما حملك على أن تحج عامًا وتعتمر عامًا ، وتترك الجهاد في سبيل الله عز وجل ، قد علمت ما رغب الله فيه ؟ قال : « يا ابن أخي ، بني الإسلام على خمس : إيمان بالله ورسوله ، والصلاة الخمس ، وصيام رمضان ، وأداء الزكاة ، وحج البيت » . قال : يا أبا عبد الرحمن ، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ ... إلى أمر الله : ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قال : فعلنا على عهد رسول الله ﷺ ، وكان الإسلام قليلًا ، فكان الرجل يفتن في

دينه : إما قتلوه ، وإما يعذبوه ، حتى كثر الإسلام ، فلم تكن فتنة ، قال : فما قولك في علي وعثمان ؟ قال : أما عثمان فكأن الله عفا عنه ، وأما أنتم فكرهتم أن تعفوا عنه ، وأما علي فابن عم رسول الله ﷺ وختنه ، وأشار بيده ، فقال : هذا بيته حيث ترون .

وفي « مسند أحمد » (٤٨٧١) ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، أخبره أنَّ رجلًا أخبره ، عن أبيه يحيى ، أنَّه كان مع عبد الله بن عمر ، وأنَّ عبد الله بن عمر قال له في الفتنة : لا ترون القتل شيئًا ؟ قال رسول الله ﷺ للثلاثة : « لا ينتجي اثنان دون صاحبهما » .

ومراد ابن عمر تعظيم القتال في الفتنة ، وأنَّه إذا كان رسول الله ﷺ نهى أن يتناجى اثنان دون الثالث من أجل أن ذلك يؤذيه ؛ فكيف بقتال المسلمين وإراقة دمائهم ؟!

وفي « صحيح البخاري » (٤٥١٣) ، عن نافع ، عن ابن

عمر رضي الله عنهما ، أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا : إن الناس صنعوا وأنت ابن عمر ، وصاحب النبي ﷺ ، فما يمنعك أن تخرج ؟ فقال « يمنعني أن الله حرم دم أخي » فقالا : ألم يقل الله : ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال : ٣٩] ، فقال : « قاتلنا حتى لم تكن فتنة ، وكان الدين لله ، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ، ويكون الدين لغير الله » .

وفي « تفسير ابن كثير » (٤/ ٥٥) ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أنَّ رجلًا جاءه فقال : يا أبا عبد الرحمن ، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ الآية [الحجرات : ٩] ، فما يمنعك ألا تقاتل كما ذكر الله في كتابه ؟ فقال : « يا ابن أخي ، أُعَيَّر بهذه الآية ولا أقاتل ، أحب إلي من أن أُعَيَّر بالآية التي يقول الله : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ إلى آخر الآية [النساء : ٩٣] » .

تعظيمه للدم ، وخشية سفكه :

وفي « صحيح البخاري » (٣٨٨٢) . قال ابن عمر رضي الله عنهما : دخلتُ على حفصة ونَسْواتها تَنطُفُ ، قلت : قد كان من أمر النَّاسِ ما تريْن ، فلم يُجعل لي مِن الأمر شيءٌ .

فقالت : « الحق فإنهَّم ينتظرونك ، وأخشى أنْ يكون في احتباسِكَ عنهم فرقة » ، فلم تدعه حتى ذهب فلمَّا تفرق النَّاس خطب معاوية ، قال : « مَنْ كان يريدُ أن يتكلَّم في هذا الأمر فليُطلِعْ لنا قرنه ، فلنحنُ أحق به منه ومن أبيه » .

قال حبيب بن مسلمة : فهلَّا أجبتَه ؟

قال عبد الله : فحللت حُبْوَتي وهممت أن أقول : « أحقُّ بهذا الأمر منك من قاتلك وأباكَ على الاسلام ، فخشيت أن أقول كلمة تفرِّقُ بين الجمع ، وتسفك الدمَ ، ويحمل عنَّي غيرُ ذلك ، فذكرت ما أعد الله في الجنان » . قال حبيب : « حُفِظتَ وعُصمتَ » .

قوله : (نسواتها) ذوائبها قيل الأصح نوساتها . (تنطف) تقطر ماء وقيل : تتحرك .

وفي « طبقات ابن سعد » (٤/ ١٢٧) ، عن عاصم بن أبي النجود ، قال مروان لابن عمر : هلم يدك نبايع لك فإنَّك سيد العرب وابن سيدها .

قال : قال له ابن عمر : كيف أصنع بأهل المشرق ؟

قال : تضربهم حتى يبايعوا . قال : « والله ما أحب أنها دانت لي سبعين سنة ، وأنَّه قتل في سببي رجل واحد » .

قال يقول مروان :

إِنِّي أَرَى فِتْنَةً تَغْلِي مَرَاجِلُهَا

وَالْمُلْكُ بَعْدَ أَبِي لَيْلَى لِمَنْ غَلَبَا

أبو ليلى معاوية بن يزيد بن معاوية وكان بعد يزيد أبيه أربعين ليلة بايع له أبوه الناس .

وفي « مسند ابن المبارك » (٢٦٣) عن محمد بن يحيى

بن حبان ، أنَّ رجلًا أخبره ، عن أبيه يحيى ، أنَّه كان مع ابن عمر ، فقال له ابن عمر : « في الفتنة لا ترون القتل شيئًا!! » .

وفي « صحيح البخاري » (٥٩٩٤) ، و « مسند أحمد » (٥٦٧٥) ، واللفظ له ، عن محمد بن أبي يعقوب ، عن ابن أبي نعم قال : جاء رجل إلى ابن عمر وأنا جالس فسأله عن دم البعوض ؟ فقال له : ممن أنت ؟ قال : من أهل العراق قال : ها انظروا إلى هذا يسأل عن دم البعوض ؟ وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « هما ريحانتي من الدنيا » .

وفي « السير » (٣/ ٢٢٦) ، و « حلية الأولياء » (١/ ٢٩٣) . قال سلام بن مسكين : سمعت الحسن يقول : لما كان من أمرِ النَّاس ما كان زمن الفتنة ، أتوا ابن عمر ، فقالوا : أنت سيد الناس ، وابن سيدهم ، والنَّاسُ بك راضون ، اخرج نبايعك . فقال : « لا والله لا يُهراق فيَّ محِجمةٌ من دمٍ ولا في سببي ما كان فيَّ روحٌ » .

بيعته لولي الأمر :

وفي « الأدب المفرد » للبخاري بسند صحيح (١١١٩) ، عن عبد الله بن دينار ، أن عبد الله بن عمر كتب إلى عبد الملك بن مروان يبايعه ، فكتب إليه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله بن عمر : سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأقر لك بالسمع والطاعة على سنة الله وسنة رسوله ، فيما استطعت » .

الصلاة خلف المتغلب :

وفي « مشيخة يعقوب الفسوي » (ص٦٢) ، عن ابن عمر ، قال : « لا أقاتل في فتنة ، وأصلي وراء من غلب» .

وفي « طبقات ابن سعد » (٤/ ١١١) ، عن زيد بن أسلم : « أن ابن عمر كان في زمان الفتنة لا يأتي أمير إلا صلى خلفه وأدى إليه زكاة ماله » .

قبوله لجوائز السلاطين :

وفي « المصنف » لابن أبي شيبة (٢٠٣٣١) عن حبيب ، قال : « رأيت ابن عمر ، وابن عباس يأتيهما هدايا المختار فيقبلانها » ، والمختار هو الثقفي ، وهو كما قال ابن عبد البر وثم القرطبي وثم عنهما الحافظ ابن عبد الهادي : (ليس بمختار) ؛ لأنَّه كذاب ففي « صحيح مسلم » (٢٥٤٥) مرفوعًا : « يكون في ثقيف كذاب ومبير » الأول المختار والثاني الحجاج .

وفي « شرح السنة » للبغوي (٨/ ١٥) بعث عبد الملك بن مروان إلى ابن عمر في الفتنة في قتال ابن الزبير مالا فأبى أن يقبله ، فلما ذهبت الفتنة بعث إليه فقبله .

ختامًا : يقول أبو سليمان الخطابي في « العزلة » (ص١٤-١٥) : « وكان ابن عمر من أشد الصحابة حذرًا من الوقوع في الفتن ، وأكثرهم تحذيرًا للنَّاسِ من الدخول فيها » .

الفهرس

مقدمة ٧
منهجية ابن عمر رضي الله عنه ١١
خوفه من الفتن..... ١١
بصيرته من الفتن ١٢
اعتزاله الفتنة ١٣
عدم الخروج في الفتن ١٥
تعظيمه للدم ، وخشية سفكه..... ١٩
بيعته لولي الأمر ٢٢
الصلاة خلف المتغلف..... ٢٢
قبوله لجوائز السلاطين ٢٣